نظرات فى أخلاق الشباب

من القوانين الحديثة فى إيطاليا أن وزارة المعارف منعت المعلمات من تعليم الصبيان بعد سن معينة . والغاية التى قصدت اليها هى أن يتخلق الصبيان بأخلاق الرجال كما يرونها ممثلة فى المعلم . فان جميع المدارس فى أوربا يقوم بتعليم الأحداث فيها من الجنسين معلمات . بل يكاد يكون التعليم الابتدائى مقصورا على المعلمات دون المعلمين . والسبب فى ذلك انخفاض أجور المعلمات من جهة وقدرة المرأة على أخذ الأطفال بالرقة واللطف واللين .

ولكن إيطاليا فى نهضتها الحديثة رأت أن تفشى صفات الرجال بين الشباب فعمدت الى المدارس الابتدائيـة والثانوية ومنعت المعلمات من تعليم الصبيان ما داموا قد تجاوزوا العاشرة أو نحو ذلك . فان الرقة واللطف والليونة والدماثة من الصفات التى تتجمل بها المرأة وقد تبالغ فيها فلا تخرج عن طبيعتها . وهى أيضا قد يتجمل ببعضها الرجل فى اعتدال . ولكنا ننتظر من الرجل اخشيشانا فى غير خشونة وجدا فى غير صرامة وجلدا على المشاق وشجاعة فى القلب وغير ذلك مما لا ننتظر من النساء .

ويفتقر شبابنا الى كثير من هذه الأخلاق . وخاصة فى هذا العصر الذى تطغى فيه علينا ألوان من الضعف الأخلاقى حتى صرنا نرى بعض الشباب يعنى بهندامه وينفق الوقت والنقد الثمينين على شراء اللباس الفاخر أو العناية الفاحشة بتجميل الشعر أو الوجه مما يعتبر من خواص المرأة التى تستطيع أن تتأنق فلا تجد غير الاعجاب ، ولكن اذا كانت أناقة المرأة تلقى منا الإعجـاب فان أناقة الشاب لا تلقى منا غير الاشمئزاز . ويؤسفنا أن نقول إن من الشباب من يبالغ فى هـذه الأناقة حتى ليشترى المواد البراقة لكى يرجل بهـا شعره أو يلمع أظافره وينفق الوقت فى تزيين هندامه حتى ليكون للون رباط الرقبة أو لوضع طرف المنديل أو لاختيار الجوارب من الخطورة والاهتمام ما يتجاوز قيمتها . فاذا كانت المرأة تستسمج إن هى بالغت فى التأنق فكيف بالرجل ؟

وأكثر هذا التأنق يرجع الباعث عليه إلى الرغبة فى أن يكون موضع إعجاب المرأة. ولكن من الضلال أن يظن شاب أن الفتاة تعجب فيه بصفات قد اعتدنا أن نقرنها بالأنوثة . فان الفتاة لا تطلب الملاحة أو الطراوة أو الجمال المصنوع فى الرجل. وإنما هى تطلب فيه الرجولة. ولعلها فى إعجابها بالرجولة لا تستنكر من الشاب الخشونة بمقدار ما تستنكر النعومة . وهى تنظر اليه من حيث إنه يمثل القوة والكفاءة والحمية والجهد ولا تبالى إزاء هذه الصفات أن تنظر إلى هندامه . ولعل الذين يعرفون الانجليزية يذكرون أن وصف الجمال لا يستعمل للشاب وإنما يقتصر على المرأة . وإذا احتاج الانجليز إلى وصف الشاب بالوسامة فانهم يستعملون لفظة أخرى هى (handsome) وفى هذا التمييز ما يجب أن يكون له مغزى عندنا وهو أن ما نطلبه من الجمال فى المرأة ليس هو ما نطلبه من الرجل . وكذلك الحال فى التجمل والتزين والهندام. لأننا إنما ننتظر من الشاب القوة والصحة وسائر صفات الرجولة . فالشاب الأمثل ليس هو الذى يتأنق فى لباسه أو طعامه وانما هو الذى يعنى بصحته فيمارس من الألعاب الرياضية ما يحفظ به قوامه ويعرف من المعارف الطبية ما يصون به جسمه من الأمراض والآفات . وشبابنا على وجه عام يفتقر الى ثقافة رياضية تؤدى الى زيادة الصحة والقوة ولذلك ينبغى لكل شاب أن ينضم الى أحد الأندية الرياضية وأن يثابر على ممارسة الألعاب فيها . فانه بهذه المثابرة يكفل لنفسه صحة وقواما هى جماع الجمال الذى يتفق والرجولة . ومع أن الأندية الرياضية قد كثرت فان شبابنا لا يزال قليل الغشيان لها يؤثر التراخى على النشاط بقضاء الوقت فى القهوات . ومن هنا هذا الترهل الذى نراه فى كثير من شبابنا حوالى الثلاثين من العمر لأن قلة الرياضة البدنية تجعلهم يترهلون ويستكرشون . وليس هناك ما يزيل عن الرجل جماله مثل الاستكراش. وضمور الحصر ليس فقط جمالا بل هو صحة أيضا. ولا يمكن أن يحقق هذه الصحة إلا بممارسة الألعاب الرياضية .

ومن الأخلاق التى يفتقر اليها شبابنا الحماسة فى العمل . وهذه تبدو فى الفتور أو التوانى حين نجد أن الشاب قاعدا الى مكتبه وهو يؤدى واجباته وكأنه يريد أن يتخطى أو يتثاءب أو كأنه لم يستوف قسطه من النوم فى الليلة الماضية . وكثيرا ما نراه وهو يكتب قد أسند رأسه بيده اليسرى . وهذه الهيئة فضلا عما تجلب من احتقار الغير تجعل الشاب يستهوى نفسه بها الى الكسل والفتور والنوم. فيجب أن تكون أخلاقنا وقت العمل قائمة على النشاط. وأن يقعد أحدنا الى مكتبه مستوفزا . بل يجب ألا يخالط عمله بأى تسلية مثل تناول القهوة أو السندويتش أو التدخين . ونحن حين نتناول عملنا بروح الجد والتوفز مع التوفر عليه ندهش من السرعة التى تحقق بها مقادير كبيرة منه لا تكاد تخطر ببال أولئك الذين يمارسون عملهم فى تكاسل وتثاؤب لا يبالون أن يأكلوا على المكتب كأنه احدى الموائد. ونشاط النفس ويقظة الذهن كلاهما يحتاج الى القعدة المستوفزة والقامة المعتدلة التى ليس فيها تكسر أو خمول .

والشاب الناجح فى عمله هو الذى يهوى العمل ويكاد يقدسه . وهو حين يشرع فيه لا يكاد يعرف أو يحس ما يجرى حوله لفرط استغراقه فيه . وهو يأخذ نفسه بضروب من النظام والمواظبة والجد وسائر الصفات التى تحمله على تيار التفوق . ولا يتأتى النجاح — ولا تقول التفوق — بغير هذه الصفات . وليست هناك حرفة قد بلغت النهاية فى حدود معارفها لأن كل شىء لا يزال يقبل التجويد والتحسين. ولذلك يجب على كل شاب أن يعمد الى تثقيف نفسه فى كل ما يختص بحرفته . بل عليه أن ينشد الرقى الثقافى العام . لأنه كلما اتسعت آفاق ذهنه ازداد بصيرة بقيمة عمله فكان تجويده له أيسر ، والرغبة فى هذا التجويد أكبر . ومن هنا ينفتح له طريق النجاح . وكثير من شبابنا يقتصر درسهم على التحصيل المدرسى . فاذا تركوا المدرسة أو الجامعة كفوا عن الدرس . مع أنه فى هذه المرحلة تبتدئ الحياة الثقافية المثمرة . لأن الشاب عندئذ يعود معلما لنفسه فيقيس كفاءاته ، وعلى مقدار هذا القياس يرتب دراسته فينمو وتتشعب أفكاره وآراؤه ويستطيع أن يجد الممتع والنافع معا فى عالم المؤلفات التى لم يسمع بها من قبل .

ومن الأخلاق التى يفتقر اليها شبابنا حب المغامرة أو حب الاقتحام الرزين . فان توخى السلامة والرغبة فى الاطمئنان كثيرا ما يبعثان شبابنا على الرضى بالهين المأمون من الصناعات أو الأعمال. وهم بذلك يحرمون أنفسهم من عالم حافل بالجليل من الأعمال. ولا نذكر مغامرة لندبرج فى وثبته التاريخية من أمريكا الى أوربا . فانه قد يعد فذا فى هذه الجراءة . ولكن الطموح البعيد يجب أن يعلو على الطمع القريب عند كل شاب . ولذلك يجب أن تكون للشاب بصيرة نيرة جريئة يوجه اليها خطواته ويقدر لها تصرفاته وأن يقصد الى الهدف الأكبر وإن بعدت مسافته لا إلى الأهداف الصغيرة وان قربت مسافتها. فقد تكون الوظيفة الحكومية مأمونة هينة الى جنب العمل الحر الذى تحف به المكاره والأخطار . ولكن ميدان العمل الحر هو ميدان الابتكار والانشاء والبناء. وفيه تبنى الصناعات العظيمة وتجمع الثروات الطائلة بل فيه الاختبارات العالية التى تربى الشخصية وتنمى المعارف وترقى الآراء . وهذه الدنيا بما فيها من مكافآت مغرية هى طموح الشاب المقحام البصير الذى لا يربطه حب السلامة بالوضيع من الأعمال .